مجلة "آفاق فكرية"
ص. ص. 87 - 103
رت م د: 2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507

تجربة محمد علي في إقامة وحدة عربية بمساعدة الدول الأوروبية وموقف الدولة العثمانية منها

Muhammad Ali's experience in establishing Arab unity with the help of European countries and the Ottoman Empire's position on it

بن عيسى فاطمة

جامعة أحمد بن بلة وهران 1 (الجزائر)، fatbenaissaa@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/11/14 **تاريخ القبول:** 2021/09/07 **تاريخ النشر:** 2021/12/30

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز طموحات محمد علي باشا وتطلعاته نحو الاستيلاء على مناطق العربية الخاضعة للدولة العثمانية، والتي كانت سبباً رئيساً في احتدام الصراع بينه وبين السلطان العثماني، ولعل لقوة جيش محمد علي باشا وتنظيماته العسكرية المتطورة، أثرهما الواضح في تفوقه على الجيش العثماني وفي تأسيس إمبراطورية مترامية الأطراف، الأمر الذي دفع السلطان العثماني إلى طلب المساعدة من الدول الأوروبية، وفي الوقت الذي أعلنت فيه الدولة العثمانية أن محمد علي باشا متمرداً وخارجاً على إرادة السلطان العثماني، أخذت معظم الدول الأوروبية - من منطلق مصالحها الخاصة– تكثف جهودها لدعم هذا السلطان في مواجهة طموح هذا الوالي المتمرد، فمن ناحية بدأت في إشعال الثورات بين شعوب المناطق التي توسع على حسابها محمد علي ضد نظام حكمه، ومن ناحية أخرى استخدمت كافة الوسائل السياسية والدبلوماسية لإنهاء هذا الصراع في صالح السلطان العثماني ، في ضوء ما عرف بمعاهدة لندن، وفرمان 1841 م الأمر الذي أدى إلى هزيمة محمد علي باشا، وخروجه من هذا الصراع خاسراً

كلمات مفتاحية: مصر – محمد علي – القومية – الدولة العثمانية – المسألة الشرقية.

Abstract:

This study aims to highlight the ambitions of Muhammad Ali Pasha and his aspirations towards the seizure of the Arab regions under the Ottoman Empire, which was a major cause of the escalation of the conflict between him and the Ottoman Sultan, and perhaps the strength of Muhammad Ali Pasha's army and his advanced military organizations, their clear impact on his superiority over the Ottoman army and in establishing A sprawling empire, which prompted the Ottoman Sultan to seek help from European countries, and at the time the Ottoman Empire declared that Muhammad Ali Pasha was a rebel and out of the will of the Ottoman Sultan, most European countries - out of their own interests - intensified their efforts to support this Sultan in Confronting the ambition of this rebellious governor, On the one hand, it started to ignite revolutions among the peoples of the regions that Muhammad Ali expanded at his expense against his regime, and on the other hand it used all political and diplomatic means to end this conflict in the interest of the Ottoman Sultan, in light of what was known as the Treaty of London and the Firman of 1841 AD, which led to The defeat of Muhammad Ali Pasha, and his exit from this conflict a loser

Key words: Egypt - Muhammad Ali - Nationalism - the Ottoman Empire - the Eastern Question.

مقدمة:

كتب كثير من المؤرخين عن تجربة محمد علي في إقامة وحدة عربية بمساعدة الدول الأوروبية وعلى رأسها فرنسا، فشخصية محمد علي في تاريخ مصر الحديث أكثر أسماء إثارة للجدل والاختلاف بين ما يرفعون شأنه ويصفونه بباني الدولة المصرية الحديثة وبين من يقولون أنه كان مساعد على هدم الكيان الإسلامي ويرجعون السبب إلى أن الدول الأوروبية الإستعمارية استخدمته كآداة حادة للقضاء على الحركة الدينية الوهابية التي ظهرت في شبه الجزيرة العربية و الإجهاز على الخلافة الاسلامية العثمانية والقضاء عليه ، فجاءت اشكالية هذه الدراسة كالآتي: ماهي دوافع وأهداف محمد علي باشا التي كان يريدها من خلال استقلاله عن الخلافة العثمانية؟ هل كان يريد تدعيم قوة مصر واستقلالها في ظل الخلافة العثمانية؟ أم كان يريد انفصال الكامل عنها؟ أم كان يريد إحياء دولة إسلامية قوية محل الخلافة العثمانية وتصبح الأسرة العلوية هي الأسرة الحاكمة بدل أسرة آل عثمان؟ وما موقف الدولة العثمانية والاوربية منها؟

ظهر في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ضابط عثماني ألباني الأصل يدعى محمد علي، كان قد جاء مع الفرقة الألبانية التي أرسلتها الحكومة العثمانية بهدف إخراج الغزاة الفرنسيين الذين سيطروا على مصر عام 1798 م/ 1212هـ، وبسبب ذكاء هذا الضابط، وبمساعدة الظروف له استطاع أن يكون والياً لمصر، وأن يثّبت مركزه، ويتخلص من منافسيه فكان هو الشخصية الأكثر شهرةً في تاريخ مصرلما قام به من إنجازات داخلية شملت كل مرافق الحياة من نواحٍ اقتصادية واجتماعية وتجارية، وحتى عسكرية مما ساعده في بناء قوة عسكرية كبيرة استطاع من خلالها أن يحمي بلاده، ولقد اختطّ لنفسه سياسة خارجية مع البلدان الأوربية والدولة العثمانية عدّت بنظر المراقبين سياسة طموحة جداً حتى استطاع في نهاية الأمر أن يسيطر على العديد من المناطق المحيطة بمصر فاستحق بجدارة لقب (مؤسس مصر الحديثة)

1. مولد ونشأته محمد علي باشا:

لا نكاد نعرف عن نشأت محمد علي باشا إلا القليل، وذلك راجع لتضارب المعلومات التي جمعتها عن نشأته مما يجعل الباحث في حيرة من أمره إذا ما تعرض إلى سيرته الذاتية في المرحلة الأولى من حياته، كما أنّه لم يحقق بعد في أصل ونسب محمد علي باشا في بحث مستقل، كذلك فإن الفترة التي قضاها من عمره في مسقط رأسه بقوالة[1] – قولة - قبل قدومه إلى مصر صحبة

الجيش العثماني لإجلاء الفرنسين عنها غامضة وقليلة التفاصيل، وغالبا فإن المعلومات الضئيلة التي توفرت لنا عن أصله وحياته قبل قدومه إلى مصر هي مرويات محمد علي نفسه.

تعرض كثير من الباحثين إلى سيرته الأولى على أنه ولد من سلالة ألبانية في بلدة قولة وطن الإسكندر الأكبر، غير أنّه لا يعرف على وجه التحديد تاريخ ولادته إلا ما كان يرويه عن نفسه[2] لزواره ومقربيه في المجالس الخاصة أنه ولد في عام 1769م/ 1182هـ، وهو العام الذي أنجب عظماء الرجال في مختلف الميادين السياسية والعسكرية والأدبية، غير أن هناك من الباحثين من شككوا في صحة ذلك التاريخ إذ لم يكون هناك سجلات خاصة بالمواليد آنذاك[3]، وأنه فيما يبدو أراد أن يربط سنة ولادته بنفس السنة التي أنجبت شخصيات بارزة[4] كان معجبا بها أمثال نابليون بونابرت[5] ودوق ولنجتون القائد البريطاني الذي قهر نابليون بونابرت في معركة واترلو الشهيرة في 18 جوان 1815م/ 1229هـ، فضلا عن أنه ولد في نفس المكان الذي ولد فيه الإسكندر الأكبر[6] وهو ميناء لا كافالا La cavalla والذي تغير اسمه فيما بعد إلى ميناء قولة(اليعقوبي، 2009، ص. 44)، وإضافة إلى ذلك فقد قدم محمد علي مجموعة من الروايات عنه لا تخلو من الخيل والطابع المسرحي[7]، وذلك أن أمه وهي حامل رأت في المنام حلماً قصته على أحد الدجالين فأنبأها أن الجنين الذي يضطرب في أحشائها سيبلغ ذات يوم أرفع مراتب المجد، وقيل أن هذه النبوءة أخذت من مخيلتها كل مأخذ، وأنها طالما كانت تكررها على مسامع ولدها والتي كانت تحرك في نفسه الطموح وعوامل الطمع حتى أثمرت، وحققت وعدها، إذ لا نزاع في أن الغلام بمزاجه الحاد وذكائه العجيب مازال يحرص على لأن تحين الفرصة لإظهار نفسه وإعلاء شأنه والحظ، فما لبث الفتى إلا قليلاً حتى سنحت له فرصة حسنة(شارلس ماري، 1916، ص. ص. 12- 13).

واختلفت أيضا الآراء حول تكوين أسرة محمد علي باشا أصول العائلية، وتذكر الدكتورة عفاف لطفي السيد أن محمد علي جاء من سلالة متواضعة، وهو ابن إبراهيم أغا بن عثمان أغا بن ابراهيم وهو يظهر خلفية عسكرية امتدت لثلاث أجيال، وأما اسم والدته فإن التاريخ بفضل العادات الشرقية التي كانت ولا تزال تأبى على المرأة أن يعرف اسمها خارج بيتها، جهله ومن غير ذلك لا يعرف إلا القليل عن الأسرة أو عن أصولها، وبينما وصفهم المؤرخون بأنهم من أصول ألبانية (اليعقوبي، 2009، ص. 44)، وأيضا من المعلومات المتواترة في الأسرة قد يكونون من سلالة كردية، وجاءوا من إحدى القرى اسمها قرية إليتشي في شرقي الأناضول، وهناك من يقول بأنه منحدر من

سلالة تركية (صبري، 2013، ص.58)، بينما يوجد من يقول بأنه من سلالة فارسية، ويستند القول الأول لقوة بنية محمد علي ومتانة أخلاقه، بينما يستند القول الثاني إلى ذكائه المرن وسعة حيلته..

تعلم محمد علي في صغره ألعاب السيف والقوة فبرع فيها، وعندما أصبح شاباً انتظم في سلك الجيش، وبعد فترة تزوج من سيدة مطلقة لها مال وعقار(الأنصاري، 1989، ص. 121)، فترك الجيش وعمل في التجارة، وخاصة تجارة التبغ (زيدان، 1999، ص. 22)، واستمر الأمر هكذا حتى عام 1801م/ 1833هـ، عندما أرادت الدولة العثمانية ارسال حملة إلى مصر لإخراج الغزاة الفرنسيين كان محمد علي من ضمن الكتيبة الألبانية التي أرسلها السلطان العثماني إلى مصر (رشاد، 1926، ص. 144).

دارت في مصر معارك، هزم خلالها الجيش العثماني المرسل فرجع قائد القوة الألبانية إلى استانبول، وتولى محمد علي قيادتها مكانه فوجد نفسه على رأس جيش صغير، وأتبع بذكائه ودهائه جميع الوسائل التي أظهرت مواهبه السياسية، وما أن حلّ عام 1805م/1837هـ حتى أصبح صاحب السيادة على مصر (أنطونيوس، 1962، ص. 81)، وقد اعترف له الباب العالي بلقب الوالي عليها (رشاد، 1926، ص. 145).

2. دوافع وأهداف توسعات محمد علي باشا:

وصل محمد علي باشا إلى كرسي الحكم، وأصبح حاكم مصر الفعلي دون منازع في جويلية 1805م/ 1219هـ بإراد شعبه ورضا العلماء والرعية، وذلك حسب الفرمان الذي أصدره السلطان العثماني سيلم الثالث (1805م- 1837م/ 1219هـ- 1252هـ)، حرص خلال فترة حكمه على الخضوع بإرادته لإرادة السلطان العثماني، ولهذا وضع امكانياته طوع مشيئة الباب العالي حرصا منه على الدفاع عن وحدة السلطة العثمانية وقمع حركات التمرد في الجزيرة العربية وكريت واليونان بهدف الحفاظ على وحدة الدولة العثمانية، لكن لم تلبث فترة من حكم محمد علي باشا حتى تغيرت سياسته إزاء الدولة العثمانية، فقد أصابها نوع من الفتور وتطورت إلى عداء سافر أذكت نيرانه الدول الأوروبية منذ (1828م – 1840م/1243هـ- 1255هـ)، فحرص محمد علي باشا إبان تلك الفترة على أن يتوسع في مختلف المناطق التابعة للدولة العثمانية والاستقلال على الدولة العثمانية؛ هل كانت طموحات محمد علي التوسعية لأسباب ودوافع وحدوية دينية؟ أم لدوافع اسلامية عثمانية؟ أم لدوافع وأهداف شخصية؟

لاحظنا من خلال دراستنا السابقة في تاريخ العالم العربي الحديث أن هناك أراء تتردد حول توسعات محمد علي باشا والي مصر في أملاك الدواة العثمانية، التي كانت لها السيادة الشرعية وقت ذاك على مصر وعلى معظم مناطق العالم العربي، وقد تضاربت تلك الآراء فيما بينها حول الأسباب التي أدت إلى تلك التوسعات وعن أهدافها، الأمر الذي شكل علامة استفهام وبالتالي أخذ المؤرخون الذين تناولوا هذه المسألة أو أشاروا إليها بصورة أو بأخرى ينظر كل واحد منهم إلى المسألة بمنظاره وبمفهوم قد يتفق أو يختلف مع غيره، حيث أعاد بعضهم إلى أسباب شخصية، والبعض الآخر الى أسباب دينية، والبعض إلى أسباب قومية:

1.2. الاتجاه الشخصي:

كان يرى أصحاب هذا الاتجاه من المؤرخين أن محمد علي باشا لم يكن سوى مغامرا عسكريا لا ينطلق من أي رؤى ايديولوجية، ولكن يسعى نحو القوة والسيطرة والسلطة الشخصية ومن ثم فإن سياسة الاصلاحية في مصر ليست إلا نتاج مطامحه الشخصية لاستخدامها كقاعدة لتوسعاته(نادية مصطفى، 1996، ص. 245) وتحقيق طموحاته في تكوين إمبراطورية على حساب الدول العربية الاخرى تكون مستقلة عن الخلافة العثمانية، حيث يقول المؤرخ دودويل[8] Dodwell:" أن محمد علي ربما تبنى دائما فكرة حكم مصر، ليس ممثلا لغيره، ولكن كحاكم مستقل، وذلك منذ اليوم الأول الذي سيطر فيه على مصر "(Dodwell,1931, p.36) ، أما ادريس أفندي الذي عاصر محمد علي باشا فيقول :" ... لم يعرف محمد علي في حياته أي تربية أولية، فورطه في الخطأ اتخاذه من نفسه مثلاً واتباعه غريزة السيطرة... وإن الناظر إلى جميع الأعمال التي زخرت بها حياته ليُرى والياً متلهفاً إلى المجد لا مُشَرِعاً يضع أساس الرخاء الذي ينبغي أن يسود من بعده، ولا مجددا يسعى إلى إقامة العدل وتشكيل مواطنين صالحيين لأعمال السلم من ناحية... ولا وطنيا يبث حب الوطن في نفوس الشعب ويشعرهم بأن بلادهم عزيزة عليهم، هو يعمل دون أن يكون مستقبل الشعب هدفاً له، وحكومته حكومة فردية لا تستمد قوتها وهيبتها إلا من شخصه" (ادريس، 1991، ص. ص. 52- 26).

تحدث المؤرخ دريولت Driault [9] عن هذه المسألة فقال:" ان محمد علي باشا قام بحربه ضد الدولة العثمانية لأنه كان يملك الحلم والرغبة في أن يكون عظيما"، وأضاف دريو في موضع آخر فقال:" أن محمد علي بعد أن نجح في إقامة جيش حديث ومتطور وأسطول مرهوب الجانب...

وبعد أن رفع انتاجية مصر بشكل ملحوظ، أراد أن يخرج مصر من حالة التبعية إلى دولة خارجية - الدولة العثمانية- " (Driault,1931, p. xx)، لذلك طلب محمد علي باشا من الباب العالي أن يكافئه رسميا على مجهوداته التي قام بها من أجل الدولة العثمانية، بإعطائه ولاية الشام الى جانب ولاية مصر له ولأبنائه من بعده (Kelly, 1968, p.p.169-171) لكن دولة العثمانية رفضت ذلك رغم قبولها مبدأ اعطائه ولاية مصر، فقرر محمد علي أن يحصل على ذلك بالقوة العسكرية، حيث طلب من ابنه إبراهيم باشا إعلان الحرب على الدولة العثمانية في نوفمبر 1831م التي كانت تعاني من حالة من الضعف العام على جميع الأصعدة، فاستطاع نتيجة لذلك الاستيلاء على بلاد الشام وهزيمة الدولة العثمانية أكثر من مرة (Grant, 1948, p.262)، وفي ديسمبر 1832م أرسل السلطان محمود الثاني أخر جيوشه لوقف تقدم ابراهيم باشا، لكن هذه القوات هزمت ودحرت في منطقة قونية وبات السلطان بذلك تحت رحمة هذا التابع الثائر (نادية مصطفى، 1996، ص.248).

وبالمقارنة بين الرؤى القومية فإن اتجاه التفسير المصلحي أو الواقعي السياسي يرى أنه من الخطأ إلصاق المشاعر القومية المصرية أو العربية بحركة محمد علي لأنه مجرد حاكم مسلم له مفاهيمه من السلطة وتحركه رغبة قوية في السيطرة والقيادة، فمحمد علي وفق هذا الاتجاه لم ير إلا دولة عثمانية ضعيفة وامكانية انتزاع تنازلات أكبر من سلطانه أو توسيع وتقوية نطاق سلطته كحاكم اقليمي عثماني لأن تاريخ الشرق الأوسط الإسلامي يبين اتجاه الحكام المحليين دائما نحو اكتساب درجة القوة وذلك في اللحظات المناسبة من ضعف السلطة المركزية، ومن أهم أسانيد هذا الاتجاه هو أن ضم الشام إلى مصر كان من شأنه أن يدعم عناصر القوة والسلطة الاستقلالية لمصر ومن ثم فإن المصالح السياسية والاستراتيجية والاقتصادية هي التي تفسر حركة محمد علي وليس القضية القومية، فهذه الأخيرة اطنب المؤرخون القوميون والمدافعون عن القومية العربية في ابرازها حيث كانوا يعرفون المعارضة البريطانية القوية لمطامح محمد علي في مواجهة السلطان العثماني، كذلك يرى هذا الاتجاه أن محمد علي لم يكن معنيا بمدى خطأ أو الصواب في عملية التحديث فهي لم تكن في نظره أكثر من سلطته ومن قدرته على إقامة دولة قوية، ولذا فإن دأب محمد علي في السعي نحو القوة والسيطرة كان من أهم أسس تطور عملية التحديث في مصر على مستوى الدولة والمجتمع (نادية مصطفى، 1996، ص.ص.246-247).

كانت الكثير من العقبات المعوقة تعترض طريق محمد علي وابنه في سعيهما في ايجاد حركة عربية، فقد كان غير عربيين، بل لم يكونا يحسنان اللغة العربية، وإن كان ابراهيم باشا قد تعود

التحدث بها في شيء من الطلاقة، وكان لهذين العاملين: انتقاء الحافز العنصري، والعجز عن التعبير باللغة الفصيحة الغنية أثرهما في انتقاص من قوة أصالة دعوتهما إلى النهضة العربية القومية، ولذلك كان الدافع الذي يحركهما هو الطموح الشخصي، وكانت رغبتهما في إعادة الإمبراطورية العربية تنبع في أصولها من رغبتهما أن يكسبا لنفسيهما امبراطورية ما، ومهما تكن الأسباب الأخرى في اخفقهما فقد كان هذا الضعف الأصيل في عدم القدرة على التكلم باللغة العربية أحد الأسباب الرئيسية التي أدت إلى فشلهما في تكوين امبراطورية عربية، وقد كانا الأب وابنه متفقين على إدماج البلاد العربية التي افتتحها في مملكة واحدة يتوليان حكمها ويرثها من بعدهما أبنائهما، كما كان متفقين على انتحال لقب الخلافة، ولكنهما بعد ذلك كانا مختلفين في تقديرهما لقوة العرب وفي مقدار اعتمدهما على تعاونهم ومؤازرتهم، فقط كانت أهداف محمد علي كلها ترمي إلى اكتساب المغانم، وكان قد عقد العزم على أن يصبح خليفة، وأن يتولى حكم مملكة مستقلة، فأدرك أنه لابد له لتحقيق هذه الغايات من أن يضمن رضا العرب وأن ينال إذا استطاع مؤازرتهم الفعالة، ولكنه لم يكن في الحقيقة صادقا في غايته نحوهم، ولم يكن يتحدث لغتهم كما أنه كان يستهين بمواهبهم وخصائصهم، وكان يرمي إلى أن يكون صحبه من الأتراك والألبانيين هم عماد السلطة وصرح الحكم في إمبراطورتيه المقبلة، وأن يكون العرب هم الرعية الذين يقدمون الطاعة ويحملون الأعباء.

كما كان يرى البعض الآخر من المؤرخين ومن عاصره أن الإصلاحات محمد علي تصب جميعها في بوتقة واحدة وهي الجيش، وأن قدرات الشعب المصري سخرت جميعها لخدمة غرض واحد وهو صنع مجد شخصي لمحمد علي وتكوين امبراطورية مترامية الأطراف يحكمها هو وأبناؤه من بعده.

2.2. الاتجاه الديني:

كان يرى أصحاب هذا الاتجاه رفض مقولة الاتجاه القومي عن سعي محمد علي باشا لإسقاط العثمانيين والوصول إلى استنبول ليقبض على زمام الخلافة والسلطة العثمانية والحلول بدل آل عثمان، ولقد وجدت هذه الاتجاهات التعبير عنها في مصادر تاريخية حديثة أخرى معاصرة وكان حجة المؤرخين الحدثين أن محمد علي كان يعرف صعوبة إسقاط العثمانيين، وأنه كان يريد حكم الشام مع حكم مصر تدعيما لقوة واستقلالية مصر الذاتية خدمة في نفس الوقت للباب العالي وحماية المصالح العثمانية، وأن سبب المصائب في العلاقات بين الطرفين كان دور بعض

المفسدين الذين سعوا لإحياء الضغائن في صدور رجال الدولتين وبث الدسائس بينهم، ومن أهم الوثائق التي يستند إليها هذا الاتجاه خطاب محمد علي لملك فرنسا لويس فيلب (1848م-1830م / 1245هـ/ 1263هـ ,Louis Philippe) الذي يبرز فيه كيف أن نواياه في مصر ووجوده السياسي ضروري للموازنة الأوروبي، هو يبرز أيضا أمرين آخرين هما: رغبته في حماية الامبراطورية من ناحية والأثر السلبي للتدخلات الأجنبية على العلاقات المصرية العثمانية فقد قال:" قصاري ومرامي أنظاري موجهة نحو مساعدتها(الدولة العثمانية) على أعدائها أولا، والمحافظة على كل ما ملكته يدي وبذل المجهودات العظيمة في سبيل الدفاع عنها ثانيا... أرى أن الشام تصير إذا بقيت في يدي عنصر قوة استطيع به وقتئذ مساندة مولاي السلطان ودولتي العلية مساندة حقيقية فعلية"، هذا ولقد عبرت مصادر إسلامية معاصرة على نفس التوجه حيث أكدت رفضها للنوايا والاتجاهات الانفصالية الاستقلالية لدى محمد علي (نادية مصطفى، 1996، ص.ص.245- 246)، أما البعض الآخرين فرأوا أنه كان رجلا طامحا لبعث امبراطورية إسلامية تقوم على أنقاض الامبراطورية العثمانية التي كانت تعاني آلام التفكك والاحتضار أو طامحاً لتأسيس امبراطورية عربية متحررة من نير العثمانيين وسلطانهم، فكان طموحه هذا سببا من أسباب انقضاض الدول الأوروبية المتحالفة عليه ومحاربتهم له وطرده من بلاد الشام إلى مصر.

لنفترض أن رأي أصحاب هذا الاتجاه صحيح؛ فهل تبنى خلافة عربية إسلامية في ظل خلافة إسلامية؟ ولماذا عمل محمد علي على القضاء على الحركة الوهابية عندما ظهرت وقمعها رغم أنها كانت تنادي بالعمل بتعاليم الدين الاسلامي والسنة النبوية الشريفة؟

3.2. الاتجاه القومي:

كانت الاتجاهات القومية هي الأكثر انتشارا بين الساسة البريطانيين المعاصرين للتجربة وخاصة رئيس الوزراء بالمرستون (نادية مصطفى، 1996، ص. 246) الذين رأى أن هدف محمد علي هو تكوين مملكة عربية وبعث الوعي القومي العربي وإحياء أمة عربية وغرس شعور وطني أصيل عند العرب، هذا وكان بعض المعاصرين للتجربة من مسيحي الشام قد أشاروا أيضا إلى أن بريطانيا قد لاحظت أن محمد علي باشا يطمع بعد ضم الشام إلى إحياء الدولة العربية القديمة وإرجاع دولة إسلامية كبرى، كذلك كان هذا الاتجاه القومي هو الأكثر انتشارا بين العرب من القوميين المعاصرين لمرحلة الحماسة القومية بعد الاستقلال عن الاستعمار الأوروبي، وتجدر الإشارة إلى أن هذه الاتجاهات القومية لم تكن منعزلة تماما عن الاتجاهات الإسلامية أو المصلحية، فلقد رأى

البعض أن تجربة محمد علي تعبيراً عن الوحدة العربية في النصف الأول من القرن التاسع عشر ميلادي، وأول محاولة في العهد العثماني تعمل على جمع العرب في وحدة متميزة عن الدولة العثمانية لكنها لم تنجح لعدم توفر الوعي القومي العربي، كما رأى فيها مصدر آخر تعبيراً عن أول مشروع للوحدة العربية العصر الحديث والذي بقي ماثلاً في أذهان المفكرين والساسة العرب منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، وفي المقابل فإن البعض الأخر قد رأى فيها تعبيرا عن انبعاث عربي إسلامي وحدوي ضد الهجمة الغربية الجديدة على الإسلام، أما الفريق الثالث فقد رأى فيها عملا توحيديا عربيا وليس استعمارا أو احتلالا يحميل مضمون برجوازيا مشويا بطابع الحكم الفردي ويحمل أحلاما امبراطورية ويرفع شعارات العروبة ضد شعار العثمنة أو التتريك لأن شعارات العروبة كانت تعبيرا عن أن القيم العربية والنزوع القومي الذي كانت تطرب به أحشاء المجتمع يوم ذاك، وثم كانت الشعارات التي يستطيع بها النظام الجديد في مصر وقيادته أن تحارب تحت إعلان شعار العثمنة، كذلك تميزت حركة محمد علي في رأي المؤرخ جمال زكرياء قاسم بأنها كان يخالطها بعض الظلال القومية لأن تأثر محمد علي غير العربي باتجاهات القومية هو الذي أعطى لتوسعه وحكمه لبلاد الشام طابعا عربيا قوميا خاصة وأنه كان يريد الاستقلال بالمنطقة العربية وفصلها عن الدولة العثمانية (قاسم، 1987، ص. 157)، وإذا كانت هذه التفسيرات قد حملت في مجملها ومن منظور قومي عربي تقويما إيجابيا لحركة محمد علي إلا أن تعبيرات أخرى اِقترنت بنظرة قومية مصرية قد حملت تقويما متحيزا ليس ضد العثمانيين فقط ولكن ضد محمد علي أيضا اعتباره غير عربي غير مصري لم يحقق انتصاراته إلا بمساندة جيش وشعب مصر[10].

اعتبر المؤرخون العرب توسعات محمد علي باشا تصب في نطاق قومي عربي[11]، ومن أهم هؤلاء المؤرخين نجد عبد الرحمن الرافعي (حجار،1972، ص. 11) الذي قال في هذا الشأن:" إن مفخرة الجيل الذي عاش في عصر محمد علي أنه حقق لمصر استقلالها، وألّف وحدتها القومية بفتح السودان وضمه إلى حضيرة الوطن، فله فضل تحقيق تلك الوحدة التي كانت وبقيت على مدى السنين من أقدس مطالب القومية المصرية، لأن اعترض ذلك الاستقلال قيود حالت دون جَعله استقلالا تاما، فلم يكن ذلك عن تقصير في الجهاد، بل لأن الدول الأوروبية قد تألبت على مصر بتحريض السياسة الانجليزية، فحرمتها ثمرة انتصاراتها، وهذا الاستقلال مع ما اعترضه من قيود لا يزال مفخرة عصر محمد علي، لأن الجيل الذي حققه واستخلصه وبذل في سبيله مع بذل من جهود وتضحيات قد دافع عنه وتركه للأجيال المتعاقبة..." (الرافعي، 1898، ص.13).

أما جوزيف حجار المعروف بكتابته على المشرق العربي خلال الفترة الحديثة فقال :" ... لقد اندمج هذا الألباني الأصيل بصورة كاملة وثابتة في حياة البلد الذي تبناه، وكان منذ سنة 1815م/1229هـ قد فرض نفسه على مصر من خلال صراعه ضد الفوضى والفساد الداخليين اللذين اشاعهما المماليك الاقطاعيون، ومنذ ذلك الحين جسد بعث أمة قديمة ازاء انحطاط السلطان المزري الذي كان سيده اسميا..." (حجار،1972، ص.11).

نستنتج أن دوافع محمد علي باشا في مشاريعه التوسعية اشتملت على الاتجاهات الثلاثة مصلحية وإصلاحية وقومية لكنها مرت بثلاث مراحل كل مرحلة اشتملت على اتجاه معين حيث عبرت عن وطنية إسلامية تهدف إلى أحياء قوة الدولة الإسلامية انطلاقا من إحياء قوة مصر، ثم مصر والشام، ثم استنبول، وذلك حسب الأوضاع والظروف المحيطة والتي دفعت محمد علي للانتقال من مرحلة إلى أخرى من مراحل مشروعه، وقد تعرض الاتجاه القومي إلى انتقادات متعددة تستند إلى أن محمد علي لم يكن عربيا ولكن تركيا مسلماً، كما أن مفهوم القومية كان مجهولا عند محمد علي باشا حتى نقول أنه كان يقود الحركة القومية العربية ضد العثمانيين، بل كانت مجهولة في تلك الفترة بالنسبة لعرب الشام أيضا، كما أن المشاعر القومية لم تلعب أي دور في الحركة السياسية المصرية خلال المرحلة الأخيرة من تصفية الحملة الفرنسية والتي شهدت وصول محمد علي باشا إلى السلطة.

ورأى محمد على باشا لزوم كسب ود السلطان العثماني ومحاولة في تغيير مواقف الدولة العثمانية حياله، وتوصل إلي أنه ومن غير المقبول أن يكرر الاعتذارات في الوقت الذي بدأ راغباً في تحقيق فكرته (أليبتي، 2005 ، ص.ص. 89 - 90) الرامية إلى تكوين دولة حديثة بعد أن أدرك حقيقة الوضع السياسي لمصر عقب الحملة الفرنسية ومدى تأثرها بتيارات السياسة الأوروبية، وانعكاس الصراع الأوروبي ليس على مصر وحدها بل على كل الولايات العربية وتيقن (الفلاح،2012، ص.30) باشا مصر وهو الرجل السياسي والمحنك إن حالة الدولة العثمانية التي دب فيها الضعف لا يمكنها الاحتفاظ بأملاكها طويلا، إذا لم تفعل شيئا يجدد من حيويتها ويعيد لها قوتها، فقد تغيرت الظروف الدولية، ولم يعد القرن التاسع عشر على غرار القرن السادس عشر الذي كانت الدول الأوروبية تعمل وقته ألف حساب للدولة العثمانية، وتأكد لمحمد علي باشا أن تلك الدول بما فيها روسيا القيصرية لابد أن تعمل على تمزيق أملاك الدولة العثمانية دولة الخلافة التي كان من ضمنها معظم الولايات العربية، فعمل محمد علي باشا للاستفادة من هذه المتغيرات

الدولية لتطوير مصر تحديدا لثقلها الحضاري وبعدها التاريخي وكثافتها السكانية ومواردها الاقتصادية، يطمح بذلك في تكوين دولة حديثه قوية عسكرياً واقتصادياً ليتمكن بها من مقاومه أي غزو من الخارج وحماية أو فتح أقاليم جديدة سواء في أسيا أو أفريقيا، وحتى يستطيع بعد تقويه مصر أن يقف في وجه الضغوط الاستعمارية الأوروبية التي باتت مطلع القرن التاسع عشر تزحف على العالم الإسلامي (الفلاح،2012، ص.31).

وتجدر الإشارة هنا أن محمد علي باشا في بداية سياسته الخارجية لم يكن راغباً في القضاء على الدولة العثمانية وسلب الولايات العربية التابعة لها (نادية مصطفى، 1996، ص.ص.251-252)، ويتولى هو السلطة ولم يكن يتعارض هذا التوجه عند باشا مصر في الحصول على نوع من الاستقلالية داخل حدود الدولة العثمانية وضع شبيه بالذي تتمتع به ولايات شمال أفريقيا، وعلى ضوء ذلك نستطيع القول إن سياسة محمد علي باشا الخارجية مرت بمرحلتين:

1.3.2. المرحلة الأولى:

تمتد من عام 1805م/ 1219هـ حتى موقعه نوارين- نافرين- خلال حرب المورة في عام 1827م/1242هـ وفيها انصرفت جهود محمد علي باشا لاستمالة السلاطين العثمانيين أصحاب السيادة الشرعية على مصر، وظل يظهر لهم كل أنواع الخضوع، ويستجيب لكل مطالبهم من أموال وغلال وإخضاع الأقاليم الثائرة على الحكم العثماني، والقريبة من مصر وإرجاعها لحظيرة السلطان، وكان محمد علي باشا يهدف في هذه المرحلة إلى أن يثبت مركزه في مصر والمحافظة على استقراره، حتى يتمكن من إعادة بناء مصر على أسس حديثة ويزيد ممتلكات مصر على حساب أملاك الدولة العثمانية نفسها ولكن داخل حدوده (الرافعي، 1898، ص.252). بمعنى آخر كانت مرحلة تدعيم محمد علي لسلطته الداخلية وبداية تنفيذ برامجه الإصلاحية، واتسمت بالتعاون المشوب بالترقب والحذر بين مصر الدولة العثمانية.

2.3.2. المرحلة الثانية:

وتمتد من عام 1827 م / 1242هـ إلى معاهدة لندن في 1840 م/ 1255هـ ، حيث بدأ محمد علي باشا يعبر عن نيته في بسط نفوذه على ولايات مجاورة لمصر خاضعة للدولة العثمانية محاولاً تأسيس دولة عربية بجهوده على حساب الدولة العثمانية ،أسفرت تلك الجهود إلى مرحلة أخذت طابع الصدام العسكري والحروب المباشرة بين الدولة العثمانية ومحمد علي باشا، خاصة الحروب

التي دارت معاركها في بلاد الشام، بعد أن أشتط غضبه من سياسة السلاطين العثمانيين تجاهه، وضاقت به الحال من جانب حكومة اسطنبول، فقد سدت الأبواب في وجهه لإيجاد نوع من الاستقلال وتطلعاته في الحكم المباشر، بعيداً عن الدولة العثمانية وتأسيس دولة حديثه موحدة في مصر، ضمت إليها الولايات في المشرق العربي التي خضعت للسيادة المصرية بالإضافة إلى السودان، والتخطيط للامتداد صوب شمال أفريقيا ومشروع احتلال الجزائر، الأمر الذي أزعج السلاطين العثمانيين وأقلقهم إلى حد كبير ومن ثم كانوا يتمسكون بسيادتهم على مصر ويعملون على تأكيدها، ويتضح ذلك بعد انفصال الولايات الأوروبية عن الدولة العثمانية ومنها اليونان، مما جعلها أكثر تشبثاً بما بقى لها من الولايات العربية، خاصة مصر فكان السلاطين العثمانيون يدركون جيداً أن ضياع مصر الناهضة القوية يجعلها تعمل على أن تتطلع إلى الولايات العربية القريبة منها وتشرع في ضمهن إليها، في الوقت الذي ضعفت فيه الدولة العثمانية واتجهت الأطماع الأوروبية إلى أملاكها الأمر الذي ترتب عليه أن تكتلت أوروبا وعلى رأسها بريطانيا للقضاء على قوة مصر الصاعدة (الفلاح. 2011-2012. ص.30).

فقد اتسمت هذه المرحلة فهي مرحلة التوسع المصري في الشام والتي اتسمت بالصدام المباشر بالدولة العثمانية إن صح القول.

أصبحت المسألة المصرية مثاراً لمطامع الدول الأوربية منذ أن أسس محمد علي باشا الدولة المصرية الحديثة، فلما اشتبكت مصر والدول العثمانية في الحرب اقترنت المسألة المصرية بالمسألة الشرقية فاشتدت المنازعات الدولية بشأنها وانبعثت المطامع القديمة التي كانت تسعى لها كل الدول حيال الدولة العثمانية[12]، فروسيا نظرت بعين الخوف لتقدم الجيش المصري واقترابه من عاصمة الدولة العثمانية لأن ذلك يمثل خطورة عظيمة بالنسبة لها أن تقيم إلى جوارها قوة جديدة فتية لا قبل لروسيا بمشاكلها وهي التي ألفت أن تنال بالتهديد العديد من الامتيازات من الدول العثمانية المتخوفة دائماً منه(النجار، 1953، ص. 190)، كما كانت ايضاً السياسة البريطانية حيال محمد علي باشا تقوم على اساس التظاهر بالمحافظة على املاك الدولة العثمانية أمام اطماعه وتوسعاته وأخذت تعمل على رده الى حدود مصر حتى لا يكون له من القوة ما يهدد مصالحها التي أخذت تتضح في تلك المنطقة من مناطق الشرق وترى في الحد من سلطانه حداً لإمتداد النفوذ الفرنسي الى هذه المنطقة الحساسة (عمر، 2017. ص.ص. 52-53).

كانت فرنسا دولة عظمى واستعمارية ذات علاقات تاريخية بالشرق، عملت أثناء المسألة المصرية على الحفاظ على مصالحها في هذه المنطقة المهمة من العالم، وخاصة أنه كان لديها مصالح سياسية واهتمامات واستعمارية في منطقة سورية، لذلك تحركت الدبلوماسية الفرنسية فوراً من أجل حماية هذه المصالح بمجرد اندلاع الصراع بين محمد علي باشا والدولة العثمانية عام 1831 م/ 1246هـ، خاصة بعد تدخل روسيا التي أرسلت قواتها وأسطولها إلى إستانبول لحماية السلطان برضى وبقبول ودعم النمسا اللتان كانت فرنسا تخشاهما، ولأن هذه الاخيرة ليس لديها القدرة على حماية مصالحها وحدها، فعملت على التقارب مع بريطانيا للوصول إلى توازن القوى في هذا الصراع، وهو الأمر الذي قبلته بريطانيا؛ حيث بدأ عهد جديد من التنسيق السياسي والعسكري بين البلدين لمواجهة روسيا التي كانت تشكل خطرا على مصالحهما في الشرق كله (النجار، 1953، ص.191).

خاتمة:

من خلال دراستنا تبين لنا أن طرح محمد علي للمسألة الشرقية من خلال رغبته في تسوية موضوع وراثة تركة الدولة العثمانية لصالحه أدى ذلك إلى اصطدامه بمصالح أوروبا ما دفعها للتدخل، وإثارة أزمات متعددة هددت السلام الأوروبي بدءاً من "حرب المورة" حتى سنة 1841م/ 1256هـ حيث كانت للقوى الأوروبية العظمى مطامعها الخاصة؛ لكن الصراع حول هذه المطامع والمصالح المعقدة كان يدور تحت غطاء من التعبيرات، أو المصطلحات الدبلوماسية شديدة العمومية والغموض، منها مصطلح "الدفاع عن وحدة أراضي الدولة العثمانية"، حيث أدركت الدول الاوروبية استحالة تحقيق أطماعها الاستعمارية في ظروف تماسك السلطنة العثمانية كزعيمة للعالم الاسلامي الممتد من آسيا وأوروبا وافريقيا، ولذا وضعت في رأس أهدافها تفكيك هذه السلطنة وانتزاع ولاياتها وهذا الهدف كان جامحاً لكل القوى الاوروبية بالرغم من صراعها فيما بينها وقد سقطت السلطنة في فلك تلك السياسة الاستعمارية اذا كانت تستخير من بطش دولة أوروبية بالارتماء في أحضان دولة أوروبية أخرى طيلة القرن التاسع عشر الميلادي.

في حين ساندت القوى الأوربية حركات الاستقلال في البلقان ودعمتها بأدوات مختلفة فإن العكس هو الذى حدث مع أنماط من الحركات في المنطقة العربية وعلى رأسها حركة محمد على، ولذا فإذا كان المعتاد وصف كل هذه المرحلة بأزماتها المختلفة الأوربية والعربية بالمسألة الشرقية

فإنه يجدر التنويه للفارق بين أهداف ودوافع وأساليب ووسائل القوى الأوربية في التعامل مع أزمات "الشرق الأوروبي البلقان، وبين نظائرها في أزمات "الولايات العربية " ناهيك عن حركة الوصل بين الجانبين أي سياسات الاصلاح العثمانية.

جاءت التسوية الأوروبية بين محمد علي والسلطان العثماني لتضعف القوى وتبقي على الضعيف فيسهل على الأطماع الاوروبية أن تتوغل في اسطنبول والقاهرة معاً، ويبدو أن محمد علي ارتكب أخطاء على الصعيد السياسة الإقليمية، فقد أدى القضاء على الدولة الوهابية 43 إلى تكريس الاستعمار البريطاني في منطقة الخليج العربي، وأدت سياسة مواجهة السلطنة العثمانية وتقطيع أوصالها إلى إضعافها وجعلها أكثر عرضة للنفوذ الأجنبي، وعلى صعيد السياسة الخارجية لم يتمكن محمد علي من فهم ديناميكية النظام الدولي ومقوماته فلم يرمم لنفسه حدوداً معينة تسمح بها إمكانياته وقواعد اللعبة الدولية، كما لم يستطيع فهم طبيعة النظام الفرنسي وتوازنات الجبهة الداخلية فيه والحدود التي يتجاوزها طوعاً أو كرهاً فعندما اقتربت المواجهة مع الغرب بعد معركة النصيبين عام 1840م/ 1255هـ لم يدرك مغزى الجوهري المفاجئ في السياسة الروسية وفي السياسة النمساوية المحافظة، فلم يدرك حين هدد باكتساح الأناضول واحتلال الإستانة أن الثورة مشتعلة في سوريا وجبل لبنان وفلسطين والأساطيل الأجنبية في سواحل دولته.

وفي الأخير لو أن جيوش محمد علي مع الجيوش العثمانية تحالفت وتعاونت مع الحركة الوهابية لقمع أطماع الدول الأوربية بشكل عام وبريطانيا بشكل خاص لتغير الوضع الان، لكن الواقع ان بريطانيا استثمرت واستغلت تلك الظروف لخدمة مصالحها الذاتية في المنطقة الى يومنا هذا.

الهوامش والاحالات:

(1) تقع المدينة على الساحل الشمالي لبحر إيجة على رأس خليج قولة، ترتفع المدينة من مستوى سطح البحر حتى قمم تلال ماندرا كاري، كما تعتبر المرفأ البحري الأول لمقدونيا الشرقية إلى الجنوب منها تقع جزيرة ثاسوس على بعد 10 كيلومتر.

(2) وهذه الروايات والمعلومات التي قدمها محمد علي عن نفسه في غالب صحيحة لأنها مرتبطة بأسماء أشخاص حقيقين كان لهم الفضل على محمد علي وأثروا فيه في فترة شبابه حتى أنه حاول استقدامهم فيما بعد إلى مصر ليعيشوا في كنفه كشخصية "المسيو ليون" وهو دبلوماسي فرنسي كان يعيش في قوالة وتولى تعليم محمد علي واعتمد عليه اعتمادا كاملا في مشروعاته التجارية، ويمكن ان يكون تأثر الباشا بمسيو ليون هو سبب مليه وثقته بالفرنسيين واعتماد عليه في مشروعاته الاصلاحية أكثر من غيرهم، لكن ليون توفي غداة سعي الباشا لاستقدامه الى مصر.

(3) ويشكك البعض فى تاريخ ميلاده ويرده إلى عام 1770م/1183هـ أو حتى بين أعوام 1768 و1771م/ 1181هـ و1184هـ، وربما يرجع هذا الخلط إلى غياب سجلات للمواليد في هذه الفترة، فضلا عن ظاهرة هامة في الكتابات التاريخية أن التاريخ في الواقع

لا يهتم كثيرًا بتسجيل فترة البدايات للشخصية التاريخية ويركز على فترة الأمجاد، ولذلك وبشكل عام تحيط بفترة النشأة لمعظم الشخصيات التاريخية الكثير من الغموض والقصور فى المعلومات، إذا قورنت بغزارة المادة مع التحول إلى "بطل تاريخي"

(4) أمثال العالم جورج كوفييه (Georges Cuvier) ولد في 23 أوت 1769م فرنسي الجنسية، وهو من أهم رجال العلم في القرن الثامن عشر، وأيضا من أهم من ترأسوا أكاديمية العلوم، و ألكسندر فون هومبولت Alexander von Humboldt وهو مستكشف وعالم نبات ألماني. ينظر: إلياس الأيوبي، محمد علي سيرته وأعماله وأثاره، (د.ط)، الكلمات للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011، ص. 10.

(5) كان محمد علي باشا شديد الإعجاب بشخصية نابليون بونابرت للدرجة أنه كان بمثابة مثلا أعلى له خاصة باعتباره قائدا عسكريا، فبحسب ما قاله العالم والمؤرخ الفرنسي جى فالتون حفيد بيسون بك الذى كان يعمل قائدا للبحرية المصرية في عهد محمد على، حيث ذكر خلال محاضرة ألقاها في المجمع العلمي الفرنسي :" أن محمد على كان يرغب في تكليف سفينة دنماركية لخداع الإنجليز وإقناعهم بإحضار نابليون إلى الإسكندرية في عام 1819م/ 1234هـ، وأضاف أن محمد على أعطى أوامره إلى بيسون بك لتولى قيادة هذه المهمة، وقال إن السفينة الدنماركية وصلت بالفعل إلى سانت هيلانة، لكن نابليون رفض الصعود إليها، لأنه شك فى وجود مؤامرة إنجليزية لقتله، مشيرًا إلى أن الوالي العثماني على مصر كان على وشك وضع خطط أخرى بتشجيع من سليمان باشا قائد الجيش وإبراهيم باشا، ومنها خطف نابليون قسرا أو بحث مقايضته مع الإنجليز، إلا أن انشغال محمد على بالحروب التي خاضها، ثم وفاة نابليون عام 1822م/ 1237هـ، أحبطت هذه الخطط، وأشار إلى أن إعجاب محمد على بنابليون كقائد عسكري كان بلا حدود، وقال إنه كان فخورا بأنه ولد فى العام نفسه الذى ولد فيه نابليون، وهو عام 1769م/ 1182هـ". ينظر: عصام عبد الفتاح، أيام محمد على: حكاية رجل سبق عصره !! : عبقرية الإرادة وصناعة التاريخ"، الشريف ماس للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012، ص. 20.

(6) الإسكندر الأكبر(356-323) ق.م : ملك مقدونيا، واشتهر أيضًا باسم الإسكندر المقدوني، وهو أحد كبار القادة العسكريين في التاريخ وكان قد فتح كثيرًا من بلاد العالم المتمدن المعروفة في ذلك الوقت. ينظر: محمد أسد الله صفا ، الإسكندر المقدوني الكبير، ط1 ، دار النفائس ، بيروت ، 1985 ، ص. ص. 120- 126.

(7) منها قصة الحلم الذي رأته أمه عند ولادته بأنها شاهدته يشرب من ماء النيل فلا يرتوي والذي فسر لها بأنه يملك مصر ولا يكتفي بها

(8) هنري دودويل: باحث والمؤرخ إنجليزي، ولد عام 1879م وتلقى تعليمه في مدرسة التايمز النحوية، ثم في كلية سانت جونز في أكسفورد. بين عامَيْ 1922 و1946م اشتغل بتدريس «تاريخِ المستعمراتِ البريطانيةِ في آسيا» بمدرسة الدراسات الشرقية والافريقية (جامعة لندن حاليا). له عدد من المؤلفات التاريخية، أهمها: «تاريخ الهند» و«الاتجاه السياسي لمصر في عهد محمد علي مؤسس مصر الحديثة» توفي في 13 جوان 1946م.

(9) دريو هو مؤرخ فرنسي اهتم في دراساته بتاريخ المشرق العربي الحديث من بين اثاره المسألة الشرقية منذ نشأتها حتى عام 1926م/ 1344هـ، ومحمد علي في سودان، وحملة الفرنسية على مصر.

(10) هنري جون تيمبل Henry John Templeيعرف أيضاً بلقب فيسكونت بالميرستون الثالث Viscount Palmerston 20)أكتوبر1784م/-18 أكتوبر1865)(1197هـ/ 1281هـ) بدأ حياته كمصمم أزياء ورجل فكاهي في مقاهي لندن رجل دولة بريطاني خدم مرتين كرئيس للوزراء في منتصف القرن التاسع عشر، سيطرت بالمرستون على السياسة الخارجية البريطانية خلال الفترة من 1830م إلى 1865 م/ 1245هـ إلى 1281هـ، عندما كانت بريطانيا في أوج قوتها الإمبراطورية، شغل منصبًا مستمرًا تقريبًا من عام 1807م/ 1221هـ حتى وفاته في عام 1865م/ 1281هـ، بدأ مسيرته البرلمانية كعضو حزب المحافظين،

وانشق عن حزب العمال في عام 1830م/ 1245هـ، وأصبح أول رئيس وزراء للحزب الليبرالي المنشأ حديثًا في عام 1859م/ 1257هـ.

(11) لم يكن هناك من "مصريين" بالمعنى القومي وقتها فرغبة النخبة المصرية وقتها في التمايز عن سائر الولايات العثمانية، وتطلعهم للحكم الرشيد، ومشاركتهم الفاعلة في إدارة البلاد لم يلازمها حس قومي، بل ظل العامل الديني هو الغالب بالإضافة إلى عدم الجرأة على التطلع للانفصال التام عن الدولة العثمانية، التي ظلت حتى سقوطها رمزا للإسلام، فكان لازمًا أن يحكم مصر مواطن عثماني. ينظر: نادية مصطفى، المرجع السابق، ص 246.

(12) حيث أرسل القيصر نقولاً الجنرال موارفيف في مهمة الى إسطنبول لمحاولة الوصول الى تسوية للمشكلة القائمة بين السلطان محمد الثاني ومحمد علي باشا إلا أن جهوده باءت بالفشل.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن غنام الشيخ الإمام حسن (1915)، تاريخ نجد.، حق:. ناصر الدين الأسد.، قابله على الأصل عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الشيخ، دار الشروق، بيروت.
2. ادريس افندي (1991)، ادريس أفندي في مصر(مذكرات الفنان المستشرق بريس دافين في مصر 1808م- 1879م)، تر: أنور لوقا، (د.ط.) دار كتاب اليوم، القاهرة.
3. اسكندر اليعقوبي(2009)، تاريخ محمد علي باشا المسمى المناقب المصطفوية والمآثر المحمدية العلوية، تح: أحمد المنعم، مج و تق: رؤوف عباس، مركز الدراسات الأرمنية، القاهرة.
4. إلياس الأيوبي(2011)، محمد علي سيرته وأعماله وأثاره،(د.ط.)، الكلمات للنشر والتوزيع، القاهرة.
5. برونو أليتي (2005)، لمحات عن أصول القضية المصرية ، الإسهامات الإيطالية "في دراسة مصر الحديثة في عصر محمد على باشا"، (مجموعة مقالات مختارة لباحثين إيطاليين) ،تر عماد البغدادي ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.
6. بكر إسماعيل الكوسوفي (2006)، سياسة محمد علي باشا الدولية "رؤية نقدية في سياسة الخارجية"، مؤسسة آلبا برس، القاهرة، 2006.
7. جمال زكرياء قاسم، الخليج العربي دراسة لتاريخ التوسع الأوروبي الأول 1507- 1840، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة.
8. جورج أنطونيوس(1962)، يقظة العرب(تاريخ حركة العرب القومية)، ترجمة : ناصر الدين الأسد، دار العلم للملايين، بيروت.
9. جورجي زيدان(1999)، تاريخ مصر الحديث من الفتح الإسلامي إلى الآن، ج2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999
10. جوزيف حجّار(1972)، أوروبا وصير الشرق العربي(حرب الاستعمار على محمد علي والنهضة العربية)، تر: بطرس الحلّاق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
11. حسين فوزي النجار(1953)، السياسة الاستراتيجية في الشرق الأوسط، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،ج1،
12. السير شارلس ماري (1916)، صفحة من تاريخ محمد علي، تع: سليم حسن وطه السباعي، دار المعارف، مصر.
13. عبد الرحمن الرافعي (1898)، عصر محمد علي، ط5، دار المعارف، القاهرة.
14. عصام عبد الفتاح(2012)، أيام محمد على: حكاية رجل سبق عصره: عبقرية الإرادة وصناعة التاريخ"، الشريف ماس للنشر والتوزيع، القاهرة.
15. علام عبد السلام عيسى الفلاح(2011-2012)، سياسة محمد علي باشا في الخليج العربي1818- 1840، رسالة ماجستير، كلية الأدب، قسم التاريخ، جامعة بن غازي.
16. علي رشاد(1926)، عصر حاضر تاريخي، ط1، ملي مطبعة، استنبول.
17. محمد أسد الله صفا (1985) ، الإسكندر المقدوني الكبير ، ط1، دار النفائس، بيروت.

18. محمد صبري السربوني(2013)، الإمبراطورية المصرية في عهد محمد علي والمسألة الشرقية 1811- 1849، تر: ناجي رمضان عطية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2013، ج1،

19. نادية مصطفى وآخرون، العصر العثماني من القوة والهيمنة إلى المسألة الشرقية، ط1، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، القاهرة، ، 1996، ج 11،

20. ناصر الأنصاري (1989)، موسوعة حكام مصر، ط 3 ، دار الشروق، القاهرة.

21. يوسف حسين يوسف عمر (2017)،" الدبلوماسية الفرنسية تجاه المسألة المصرية من بداية الأزمة وحتى معاهدة هونكار إسكله سي 1831- 1833"، المجلة الأردنية للتاريخ والأثار، الأردن، المجلد 11، ع2، ص. ص. 45- 70.

22. Dodwell(1931) , Henry. The Founder Of Modern Egypt, A Study Of Muhammad Ali (Cambridge: At The University Press .

23. Driault, Edouard(1930) , L Egyte Et L'europe, La Crise De 1839-1841 (La Caire: Société Royale De Géographie- d'Egypte, Vol. 1

24. Grant, J. A – Temperley (1948) , Harold. Europe In The Nineteenth And Twentieth Centuries 1789-1939 (London: Longmans, Green And Co.

25. Kelly, J. B (1968), Britain And The Persian Gulf 1795-1880 (Oxford: At The Clarendon Press.

كيفية الاستشهاد بهذا المقال وفق نظام توثيق الجمعية الأمريكية لعلم النفس APA الإصدار السابع (7):

بن عيسى فاطمة. (2021). تجربة محمد علي في إقامة وحدة عربية بمساعدة الدول الأوروبية وموقف الدولة العثمانية منها. *افاق فكرية*، سيدي بلعباس (الجزائر)، *9* (3)، 87-103 ؛ رابط المجلة *https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/396*